

والبوذية } ولا أحد أن ما يقوله ينطبق على الإسلام الذى كان عاملاً مباشراً فى نشأة وتكوين الحضارة الإسلامية وليس حاضناً لحضارة اسرائيل والفرس لقرون قبل أن تظهر حضارته فى شبه الجزيرة العربية، كان الفرق بين تدهور الحضارة الرومانية وقيام الحضارة الأوربية ألف عام مما يبرر فكرة الحضانة، ولكن حضارة الإسلام ظهرت فى أقل من مائة عام بعد مجئ الدين الجديد وفى مجتمع كان ضعيف الصلة بالحضارة اليهودية والفارسية اللتان تكونتا خارج وسط الجزيرة العربية حيث بدأ الإسلام. وعلى كلٍ فقد رفض توينبى فكرة الحضانة حتى بالنسبة لدور الديانة المسيحية فى نشأة الحضارة الأوربية وتبنى دوراً لها أكثر ايجابية وفاعلية ولكنه لا يخلو من غرابة.

3) أما رأى الثالث الذى يتبناه توينبى فهو على عكس رأى الثانى أى أن الدين ليس مساعداً ثانوياً فى نشأة الحضارة، ولكن سقوط الحضارات هو العامل المساعد لتطور الدين من مرحلة إلى مرحلة أعلى تستشرف حضارة أقوى تليق بالطور الجديد للدين. ويستشهد المؤرخ البريطانى المتدين ببعض النصوص المسيحية مثل: من خلال المعاناة والآلام يأتى التعلم، من يحبه الله يعاقبه ويجلد كل ابن يتقبله. ويقول إن الديانات الوثنية الإغريقية كانت مقدمة لآلام المسيح (Passion of Christ) وأن آلام المسيح كانت تنويجاً لخبرة آلام الروح البشرية من الفشل المتعاقب للحضارة العلمانية. ومن الصعب مناقشة أطروحة توينبى وهو يتحدث بعقلية مؤمن مسيحي ملتزم ويستشهد بنصوص دينية بحتة وإن كانت منطقية ولا تخلو من شواهد تاريخية، ولكنها لا تصلح للتعميم بحال من الأحوال. ويخلص إلى القول بأن الدين لو كان بمثابة مركبة فإن عجلاتها التى تسير بها نحو السماء هى دورة سقوط الحضارات على الأرض، وعليه فإن الحضارة الرومانية هى القابلة التى ولدت المسيحية قبل أن تسقط وتختفى. وانتهى توينبى فى ختام محاضراته إلى القول بأن: النفس المسيحية يمكن أن تكتسب وهى على الأرض قدراً كبيراً من أعظم خير بشرى قد تحصل عليه نفس وثنية، ولذلك فهى تجلب أكبر قدر من التطور الاجتماعى فى الدنيا، وأثرها المباشر وهدفها المقصود هو الفرصة التى تتيحها للأفراد فى التقدم الروحى عبر رحلة الحياة من الميلاد إلى الممات.

ونجد من الناحية الأخرى نموذجاً مناقضاً لتوينبى فى شخص الفيلسوف البريطانى برتراند رسل (1872-1970). يقول رسل فى مقالة مشهورة: هل قدم الدين مساهمات مفيدة للحضارة؟ (Has Religion Made Useful Contributions to Civilization?) بأن